

كَانَتْ قَرْيَةً سَيِّدِي بُو سَعِيدٍ مُصْطَافٍ أَعْيَانِ مَدِينَةِ تُونَسٍ مِنْذُ الْقَدِيمِ، تَتَسَلَّقُ دُورَهَا الْبَيْضَاءُ رَّبْوَةً عَالِيَةً تَشْرَفُ عَلَى خَلِيجِ تُونَسٍ،
يَصْعَدُ إِلَيْهَا الزَّائِرُ صُغُودًا مِنْ طَرِيقِ ضَيْقَةٍ تَنْتَهِي بِهِ إِلَى سَاحَةِ صَغِيرَةٍ هِيَ قَلْبُ الْمَدِينَةِ، وَإِذَا تَجَاوَزْتَ السَّاحَةَ وَجُلْتَ فِي الْقَرْيَةِ
تَهْتَ فِي مَنْعَرَجَاتِهَا ، وَخَلَبْتَ بَصَرَكَ أَبْوَابَ دُورِهَا مَصْبُوعَةً بِاللَّوْنِ الْأَزْرَقِ، وَلَعَلَّ سَكُونَهَا الْعَجِيبَ يَفْتِنُكَ كَأَنَّهُ سِحْرٌ ، وَأَنْتَ تَمُرُّ
أَزْقَتَهَا تَحْتَ الْمَشْرِبِيَّاتِ بِخَفِيفِ أَرْدِيَةِ الْحَرِيرِ، وَتَطْرُقُ سَمْعَكَ طَرَقَ الْأَنْغَامِ ضَحَكَاتٍ مُحْتَشِمَةٍ، وَقَدْ تَتَرَاءَى لَكَ مِنْ حِينَ لآخر عَيْنُ
حَسَنَاءٍ تُرَاقِبُ مَشْيِكَ وَحَرَكَاتِهَا مِنْ وَرَاءِ الشَّبَابِيكِ، وَتَشَاهِدُ أحيانًا شَجَرَةً سَرَوْا تُنْطَلِقُ عَالِيَةً مُسْتَقِيمَةً مِنْ فَنَاءِ بَيْتٍ مُسَلَّطَةٍ عَلَى
الْفَضَاءِ حَضَرَتْهَا الْمَدْلَهْمَةُ تَوَاصَلَ سِيرَكَ فَتَقْوَدُكَ خُطَاكَ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَحْرِ